

## مظاهر التجديد في بيان إعجاز القرآن عند بديع الزمان النورسي

أ.د . أحمد أبو زيد<sup>P</sup>

الإمام بديع الزمان النورسي عالم ومفكر مجدد أصيل ومجاهد مخلص كبير، نبغ في العلوم الإسلامية نبوغاً خارقاً مبكراً، واستوعبها حفظاً وفهماً بطريقة غير مألوفة، جعلت كبار علماء عصره يسلمون له، ويعترفون بتفوقه ونبوغه.

حمل هموم أمته، ورفع راية الدعوة إلى إصلاح أوضاعها وقاد المجاهدين المتطوعين وحمل السلاح لصد العدو عن بلده ثم خاض معركة الإصلاح وتصدى لتيار الكفر والاحاد باصرار شديد، وعزيمة من حديد، لم تتل من عزمته الأشواك والألام الجسام التي ألفت في طريقه، بل مضى يجاهد بفكره وعلمه وقلمه وسيرته الطيبة حتى أتاه اليقين.

وكل مؤلفاته ورسائله كتبها لخدمة القرآن ونشر حقائقه في الآفاق، وتثبيت دعائم الإيمان وتبديد ظلام الإلحاد الجارف.

وإن أي باحث يريد أن يدخل إلى عالم هذا المفكر الأصيل، وينخرط في حضرته العلمية لا يمكن أن تفتح له أبواب فكره وشخصيته العلمية إلا إذا اصطحب معه مفاتيح فريدة وأتى البيت من أبوابه الخاصة.

ويمكن إجمال هذه المفاتيح في الآتي:

1 - قراءة سيرة حياته بالتفصيل.

2 - دعاء النبي ﷺ له بعلم القرآن.

3 - العهد الذي قطعه على نفسه بعد أن أطلع على ما قاله وزير المستعمرات

البريطاني في شأن القرآن ذلك العهد هو : "لأبرهن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"

---

P من مواليد سنة 1945م فاس - المغرب حصل على الدكتوراه سنة 1990 وحالياً رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة محمد الخامس بالرباط . له 3 مؤلفات في الإعجاز القرآني وتناسبه البياني.

4 - كونه وهب حياته لخدمة القرآن الكريم، فعاش والقرآن زاده في محنته الطويلة، وأنيس وحدته في السجون والمنفى يؤنسه في وحشته ويبدد أحزانه والآمه، وينير حياته وروحه وقلبه بأنواره.

5 - زهده وتورعه عن الدنيا وترفعه عن حطامها.

6 - تفرده في كل ما كتب بمزايا الجدة والأصالة، يستمد المعرفة من نور الايمان وحرقة الآلام والأهوال، ومن أسرار القرآن وبركاته، ومن تجليات أسماء الله الحسنى، ولذلك كانت رسائله نورانية وكتابات "المعات" و "شعاعات" و "أنوار" و "أضواء" و "شعلات" و "قبسات" ... إنه لا ينقل من بطون الكتب ولا من المآثور عن السابقين كما يفعل غيره.

هذه بعض المفاتيح التي يحتاج إليها كل من يريد أن يبحث أي جانب من شخصية هذا المفكر العظيم.

#### إعجاز القرآن في كتابات بديع الزمان النورسي

عندما اقترحت أن أقوم بدراسة حول مظاهر التجديد في بيان إعجاز القرآن عند هذا المفكر الجليل، لم أكن قد اطلعت على سائر كتبه، وكنت أعتقد أن كتابه الموسوم بـ " إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز " هو الكتاب الوحيد التي يتعلق بمسألة إعجاز القرآن، لكن بعد اطلاعي على باقي كتبه تبين لي أن اعتقادي كان باطلا.

وتفضل بعض الأخوة - جزاهم خيرا - فارشدوني إلى كتاب "الكلمات" والى الكلمة الخامسة والعشرين منه بوجه خاص، ولما شرعت في مطالعة هذه الكلمة وجدت المؤلف يحيل على كلمات آخر سابقات، والى رسائل وكتب أخرى. واصلت القراءة والبحث حتى وقفت في الكلمة الخامسة والعشرين على فقرة أشار فيها المؤلف الى الكتب والرسائل التي نشر فيها حقائق الاعجاز القرآني، يقول فيها ".... لقد اشرنا الى نحو أربعين وجها من وجوه إعجاز القرآن الحكيم الذي هو منبع المعجزات، والمعجزة الكبرى للرسول الكريم p، وذلك في رسائل العربية، وفي رسائل النور العربية وفي تفسير الموسوم "بإشارات الاعجاز في مظان الإيجاز" وفي الكلمات الاربع والعشرين السابقة" فعلمت ان الموضوع واسع متنشعب المباحث متعدد الجوانب، فاضطرت الى حصره والاقتصار على دراسة بعض المظاهر او الوجوه الفريدة من أسرار إعجاز القرآن التي انفرد بديع الزمان بإزالة الحجاب عنها، وهذا العمل أيضا لم يكن سهلا، لأن جل ما كتبه الرجل في هذا الموضوع فيه جدة وأصالة، ولذلك فإن هذا البحث لا يدعي لنفسه أنه وفي الموضوع حقه كاملا، وإنما هو نزهة ممتعة في رياض هذا المفكر واختيار باقة من أزهاره، وإطلالة على بحر فكره الزاخر، وانتقاء جملة من نفائسه، وتطلع إلى سمائه واقتباس قبسات من ناره وأنواره.

#### نبذة من معالم تجديد النورسي في بيان إعجاز القرآن

تعريف القرآن : أحب أن أبدا حديثي في هذا الموضوع بالتتويه بالتعريف الطريف الذي عرف به الشيخ النورسي القرآن الكريم ، لأنه بدوره جديد يدل على إدراك عميق لحقيقة القرآن الكريم وجلاله وعظمته ، وفهم ثاقب لحقائقه ومقاصده اللطيفة

الجليلة ، ويعلم الله كم كان سروري حينما يسر الله لي الظفر بهذا التعريف ، فقد كنت في بعض دروسي أقلب التعريفات المتداولة عسى أن أظفر منها بما يليق بعظمة القرآن الكريم وحقيقته النورانية وجوهه المكنون فلا أجد منها ما يلبي حاجتي ومن المؤكد أن النورسي رحمه الله - اطلع على تلك التعريفات لكنه لحاجة في نفسه أثر أن يضع تعريفاً أستمد من أنوار القرآن الساطعة التي ملأت جنبات قلبه وروحه ووجدانه ، قال رحمه الله : " هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات ، والترجمان الأبدى لألسنتها التاليات للآليات الكونية ، ومفسر كتاب العالم ، وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض ، وكذا هو مفتاح لحقائق الشئون المضمرة في سطور الحادثات .. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة .. إلى أن قال : وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر ، وهو المرشد الهادي إلى ما خلق البشر له .. وكذا هو للإنسان ، كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة ، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك كتاب أمر ودعوة. وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر ، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة " <sup>1</sup> .

هذه فقرات وقبسات مختارة من هذا التعريف وهي كافية في الأدلة على المنحى التجديدي الذي نحاه النورسي في بحوثه المتعلقة بالقرآن الكريم وإعجازه ، فهو لم يشغل نفسه بالوصف الظاهري والتحديد النوعي ، كالمناطق أو الأصوليين القدماء ، وإنما اختار الغوص على الحقيقة والجوهر والمقاصد والغايات .

#### شروط تذوق إعجاز القرآن

أوضح النورسي أن النظر إلى القرآن الكريم من خلال الوضع الحاضر الذي استنار بنور القرآن ومن خلال ستار الألفة يحول دون رؤية جمال القرآن المعجز في كل آية ، لذلك وضع شرطاً لتذوق الإعجاز القرآني ، وهو أن يتصور الناظر في القرآن نفسه في العصر الجاهلي ، وفي صحراء تلك البداوة والجهل ، فبانقاله الشعوري إلى ذلك العصر يزول عنه ستار الألفة ويتذوق دقائق الإعجاز ، وبخلاف ذلك يحرم تذوقها .

قال رحمه الله : " إذا شئت أن تشاهد وتتذوق كيف تنتشر كل آية من القرآن الكريم نور إعجازها وهدايتها .. تصور نفسك في ذلك العصر الجاهلي وفي صحراء تلك البداوة ، فبينما تجد كل شيء قد اسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل ولف بغلاف الجمود والطبيعة إذا بك تشاهد ، وقد دببت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة في أذهان السامعين ، فتنهض مسيحة ذاكرة الله بصدى قوله تعالى : { يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم } (الجمعة: 1) وهكذا بانقالك الشعوري إلى ذلك العصر تتذوق دقائق الإعجاز ... " <sup>2</sup> .

### الإعجاز التشريعي أو الإعجاز بالهداية

القرآن كتاب تشريع وهداية صالح لكل زمان يحافظ على شبابيته وفتوته ، إذ لا يوجد فكر تشريعي بشري أهدى من القرآن الكريم ، قال تعالى مخاطبا كفار العرب وكفار البشرية في كل عصر {قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم} (القصص:49 – 50).

ومضى زمن طويل والناس يرددون هذه الآية من غير أن يتعمقوا في فهم دلالتها على الإعجاز التشريعي أما النورسي فقد عرضها تحت عنوان "شبابية القرآن وفتوته" وقال : "إن القرآن الكريم قد حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نظرا فتيا"<sup>3</sup>.

وأوضح أن القرآن الكريم خطاب أزلي يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور، لذلك يلزم أن تكون له شبابية دائمة، وهذا المعنى مطابق لما روى في فضائل القرآن من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أن القرآن "لا يخلق على كثرة الرد ولا تشعب منه العلماء ولا تنقضي عجائبه".

وعرض النورسي هذا الوجه من إعجاز القرآن بأسلوب بارع يعتمد على المفاضلة بين التشريعات القرآنية ونظم المدنية الحديثة التي تعد أرقى ما وصلت إليه البشرية في التشريع والتنظيم .

وأوضح أن آثار البشرية وقوانينها تشيب وتهرم مثلها ، وأن أحكام القرآن وقوانينها لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر صلاحيتها كلما مرت العصور .

وفي سياق الموزانة بين فلسفة المدنية الحديثة وبين حكمة القرآن أوضح أن المدنية الحديثة تومن أن ركيزة الحياة الإجتماعية هي "القوة" وهي تستهدف المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع دستورا للحياة ، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات ، وغايتها لهو عابث لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس .

ثم قال : "ومن المعلوم أن شأن القوة هو التجاوز ، وشأن "المنفعة" هو التزاحم ، وشأن "الصراع" هو التصادم ، وشأن العنصرية هو التجاوز ، وهذه الأسس هي التي جعلت المدنية الحاضرة عاجزة عن ان تمنح سوى 20 ./. من البشر سعادة ظاهرة بينما القت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق .

أما حكمة القرآن فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الإجتماعية بدلا من القوة وتجعل "رضى الله ونيل الفضائل" هو الغاية والهدف ، بدلا من المنفعة، وتتخذ "دستور التعاون" أساسا في الحياة بدلا من دستور الصراع، وتلتزم "رابطة الدين" والصنف والوطن لربط فئات الجماعات بدلا من العنصرية والقومية السلبية، وتجعل غايتها الحد من تجاوز النفس الأمانة ، ودفع الروح إلى معالي الأمور.<sup>4</sup>

3 نفسه ص. 471

4 نفسه ص. 472

وفي ختام هذه المفاضلة أكد - رحمه الله - أن المدنية الحديثة غلبت أمام القرآن الكريم ، مع ما أخذت من المحاسن من الأديان السابقة ، ولا سيما من القرآن الكريم . وأختار أربع مسائل من تشريعات القرآن لايضاح الإعجاز التشريعي .  
المسألة الأولى : قوله تعالى : {وآتوا الزكاة} (سورة البقرة: 43) وقوله تعالى {وأحل الله البيع وحرم الربا} (سورة البقرة: 275) . وليبيان إعجاز القرآن في هذين الحكمين بدأ بمقدمة أوضح فيها أن أساس جميع الإضطراب والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة هي : " إن شبعنا أنا فلا علي أن يموت غيري من الجوع" كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضا وهي : " اكتسب أنت لأكل أنا ، وأتعب أنت لاستريح أنا" وقال : نعم ، إنه لا يمكن العيش بسلام ووثام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن بين الأغنياء والفقراء ، وأساس هذا التوازن هو رحمة الأغنياء وشفقتهم على الفقراء . والمدنية الحديثة بكل أنظمتها ووسائلها عجزت عن إيجاد التوازن بين الطبقتين" <sup>5</sup> .  
أما القرآن الكريم فإنه يقتلع الكلمة الأولى من جذورها ويداويها بالزكاة ، ويقتلع الكلمة الثانية من أساسها ويداوها بتحريم الربا .

وبهذا الأسلوب القائم على المفاضلة بين أحكام القرآن الكريم وبين عادات المدنية الحديثة وأعرافها بين النورسي سر الإعجاز في المسائل الثلاث الباقية: وهي تعدد الزوجات ، وقسمة الميراث ، والصور المجسمة ، ولا يسمح المقام هنا بالتفصيل .  
**جامعية القرآن الخارقة**

يعد ما عرضه النورسي تحت هذا العنوان من أبرز معالم تجديده في بيان إعجاز القرآن، لأن بحوث القدماء كانت منصبة على الأساليب البلاغية والبيانية ، حتى عبد القاهر الجرجاني الذي أسس علم المعاني كان اهتمامه محصورا في معاني التراكيب النحوية في حدود الجملة.

أما النورسي فقد أوضح جامعياً القرآن الخارقة في ألفاظه، وفي علومه ، وفي مباحثه ، وفي معانيه ولا يسمح المقام بالتفصيل في بيان الإعجاز في كل هذه الجوانب ، وأسمح لنفسني باختيار الجانبين المتعلقين بالجامعية الخارقة في اللفظ " . و "الجامعية الخارقة في مباحث القرآن" .

#### **الجامعية الخارقة في اللفظ**

أوضح النورسي - رحمه الله - أن ألفاظ القرآن قد وضعت وضعا بحيث إن لكل كلام ، بل لكل كلمة ، بل لكل حرف ، بل حتى للسكون أحيانا وجوها كثيرة جدا ، تمنح لكل مخاطب حظه ونصيبه من أبواب مختلفة - كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف: " لكل آية ظهر وبطن ، وحد ومطلع <sup>6</sup> ، ولكل شجون وعصون وفنون" <sup>7</sup> ثم ساق أمثلة من ألفاظ القرآن وحللها وبين ما فيها من الجامعية الخارقة وأوضح

5 نفسه ص. 474

6 رواه أحمد والترمذي عن أبي رضي الله عنه ، وأحمد عن حذيفة وهو عند الطبراني من حديث ابن مسعود، باختصار عن كشف الخفاء 1 ص. 209

7 الكلمات ص. 451

حصة كل صنف من فهمها أورد مثلا قوله تعالى : {والجبال أوتادا} (النبأ:7) فذكر حصة العامي ، وحصة الشاعر ، وحصة البدوي البليغ ، وحصة الجغرافي ، وحصة المتخصص في علم الاجتماع وحصة الفيلسوف الطبيعي من فهم هذه الآية. وساق أمثلة أخرى على هذا النحو ثم تساءل ، على لسان المعارض ، وقال : إذا قلت: " كيف نفهم أن القرآن قد أراد جميع تلك المعاني التي جاءت في الأمثلة السابقة؟ وأجاب بقوله : ما دام القرآن الكريم خطابا أزليا يخاطب به الله سبحانه وتعالى – جميع طبقات البشرية المصطفة خلف العصور ، ويرشدهم جميعا فلا بد أنه يدرج معاني عدة لتلائم مختلف الأفهام ويضع أمارات على إرادة تلك المعاني. وإلى جانب هذا فإن جميع الوجوه والمعاني التي هي صحيحة حسب علوم العربية، وصائبة وفق أصول الدين ومقبولة في فن المعاني ، ولانقطة في علم البيان ومستحسنة في علم البلاغة هي من معاني القرآن الكريم باجماع المجتهدين والمفسرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه" <sup>8</sup> .

#### الجامعية الخارقة في مباحثه

أوضح النورسي هذه الميزة فذكر أن القرآن قد جمع المباحث الكلية فيما يخص الإنسان ووظيفته ، والكون وخالقه ، والأرض والسماوات والدينا والأخرة ، والماضي والمستقبل ، والازل والابد ، ثم قال : فجميع هذه المباحث الأساسية تبين في القرآن بيانا واضحا يليق بذات الله الجليلة الذي يدير الكون كله. كأنه قصر ويفتح الدنيا والآخرة كغرفتين يفتح إحدهما ويسد الأخرى بسهولة ، ويتصرف في الأرض تصرفه في بستان صغير ، وفي السماء كأنها سقف مزين بالمصابيح ويطلع على الماضي والمستقبل كصحيفتين حاضرتين أمام شهوده كالليل والنهار ، ويشاهد الأزل والأبد كالיום وامس.

..نعم ، إن الذي جمل الدنيا وزينها بصنائه الثمينة وملاها بأطايب نعمه الشهية، ونشر في وجه الأرض بدائع مخلوقاته ، ونعمه ، بكل إبداع وإحسان وتنسيق وتنظيم ، ذلك الصانع الجليل هو صاحب هذا البيان، وبيان القرآن الكريم الذي ملأ الدنيا بالتقدير والتعظيم والحمد والشكر حتى جعل الأرض رباط ذكر وتهليل، ومسجدا يرفع فيه إسم الله.. ومن يكون غيره صاحب هذا الكلام. " فهل يليق بهذا البيان الذي كشف لغز العالم ونوره أن يكون لغير من خلق السموات والأرض" <sup>9</sup> .

#### التناسب بين الحقائق القرآنية الكلية

(أعظم أوجه إعجاز القرآن)

يقول الله عز وجل : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (النساء:82) .

ويقول : {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} (الزمر:23) . وحام العلماء

8 نفسه ص.456

9 نفسه ص.457 ، 459 بتصرف

حول فضيلة التناسب اللفظي والمعنوي في القرآن الكريم ولكنهم اكتفوا بالإشارة والتلميح ولم يكشفوا عن هذه الفضيلة بصورة مقنعة.

وتجلى هذا الوجه من الإعجاز للنورسي فأجاد في بيانه بأسلوبه التمثيلي الذي يقرب البعيد ويجلي الخفي من المعاني، بدأ حديثه الممتع في هذا الباب بقوله: إذا أردت مشاهدة أعظم درجة الإعجاز القرآني الكثيرة فاستمع الى هذا المثال وتأمله. لنفرض شجرة عجيبة في منتهى العلو والغرابة، وفي غاية الإنتشار والسعة، قد أسدل عليها غطاء الغيب.

فإذا قام أحد من قبل تلك الشجرة التي لم تشاهد قط ولا تشاهد أبداً، ورسم على شاشة صورة لكل عضو من أعضاء تلك الشجرة وحد له، بأن وضع خطوطاً تمثل العلاقات بين أغصانها وثمراتها وأوراقها، وملاً ما بين مبدئها ومنتهاها - البعيدين عن بعضهما بما لا يحد، بصور وخطوط تمثل أشكال أعضائها تماماً وتبرز صورها كاملة، فلا يبقى أدنى شك في أن ذلك الرسام يشاهد تلك الشجرة الغيبية بنظره المطلع على الغيب، ويحيط بها علماً...

فالقرآن المبين - كهذا المثال - أيضاً فإن بياناته المعجزة التي تخص حقيقة الموجودات.. قد حافظت على الموازنة والتناسب، وأعطت لكل عضو من الأعضاء ولكل ثمرة من الثمرات صورة تليق بها بحيث خلص العلماء والمحققون - لدى إجراء تحقيقاتهم وأبحاثهم - إلى الإنبهار والانشداد قائلين ما شاء الله، إن الذي يحل طلسم الكون، ويكشف معمى الخلق إنما هو أنت وحدك أيها القرآن الحكيم.<sup>10</sup>

وبدأ النورسي تفصيل هذا الوجه العظيم من الإعجاز فأوضح وجه التناسب في حقيقة الألوهية - كما عرضها القرآن، ودعا الى تصور الأسماء الإلهية وصفاتها الجليلة والشؤون الربانية وأفعالها الحكيمة - والله المثل الأعلى، كأنها شجرة طوبى من نور تمتد دائرة عظمتها من الأزل إلى الأبد...

ثم خلص إلى القول: إن القرآن الكريم بين تلك الحقيقة النورانية بجميع فروعها وأغصانها وبجميع غاياتها وثمراتها بيانا في منتهى التوافق والإنسجام بحيث لا تعيق حقيقة أخرى، ولا يفسد حكم حقيقة حكما لأخرى، وعلى هذه الصورة المتجانسة المتناسقة بين القرآن الكريم حقائق الأسماء الألهية والصفات الجليلة والشؤون الربانية والأفعال الحكيمة بيانا معجزا... "ولو أخذنا مثلاً أركان الإيمان الستة التي تتوجه إلى جميع دائرة الموجودات المختلفة ودائرة الوجوب الإلهي، والتي تعد غصنا من تلك الشجرتين العظيمتين بصورها القرآن الكريم بجميع فروعها وأغصانها وثمراتها وأزاهيرها مراعيها في تصويره إنسجاماً بديعاً بين ثمراتها وأزاهيرها، معرفاً بالتناسب في منتهى التوازن والإنساق.

" ثم إن الإسلام الذي هو فرع من غصن الإيمان أبدع القرآن الكريم، وأتى بالرائع المعجب في تصوير أدق فروع أركانه الخمسة وحافظ على جمال التناسب وكمال التوازن فيما بينهما، بل حافظ على أبسط آدابها ومنتهاى غاياتها وأعمق حكمها، وأبهر

دليل على ذلك هو كمال انتظام الشريعة العظمى التابعة من نصوص ذلك القرآن الجامع ومن إشاراته ورموزه فكمال انتظام الشريعة الغراء وجمال توازنها الدقيق وحسن تناسب أحكامها وخصائصها كل منها شاهد عدل لا يجرح، وبرهان قاطع باهر لا يدنو منه الريب على أحقية القرآن الكريم، بمعنى أن البيانات القرآنية لا يمكن أن تستند إلى علم جزئي لبشر، ولا سيما إنسان أمي، بل لا بد أن تستند إلى علم واسع محيط، بكل شئ بصير بجميع الأشياء في آن واحد<sup>11</sup>.

### الإعجاز في الفذلكات (الخلاصات) التي تنتهي بها الآيات

هذا وجه آخر من أوجه إعجاز القرآن التي لم تحظ من القدماء والمحدثين جميعاً بما تستحق من الإهتمام.

أجل، قد يلتقي الناظر في بحوث الإعجاز وكتب التفسير وعلوم القرآن بإشارات وجيزة تومئ إلى هذا الوجه من بعيد، لكنها لا تتعمق في بيانه. أما الشيخ النورسي فقد جلاه وكشف عنه الستار حتى بدا واضحا جليا على الأيام.

بدأ حديثه عن هذا الوجه بمقدمة مجملّة أوضح فيها أن القرآن الكريم يذكر في أكثر الأحيان نوعاً من الخلاصات، والفذلكات في خاتمة الآيات: إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضايا إلى العقل وتحثه على التفكير والتدبر فيها، أو تضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدّها.. ففي تلك الفذلكات بعض إشارات من حكمة القرآن العالية، وبعض رشاشات من ماء الحياة للهداية الإلهية، وبعض شرارات من بوراق إعجاز القرآن<sup>12</sup> وعرض - رحمه الله - بإجمال أيضا عشر إشارات من تلك الإشارات الكثيرة جدا، وذكر أن أكثر هذه الإشارات العشر تجتمع في أكثر الآيات معا مكونة نقشا إعجازيا حقيقيا.

ولا يسمح المقام بعرض تلك الإشارات العشر بالتفصيل، ولكن يحسن أن نفتبس منها ما يكفي لأعطاء فكرة واضحة عن هذا الوجه من إعجاز القرآن - إن القرآن ببياناته المعجزة يبسط أفعال الصانع الجليل، ويفرش آثاره أمام النظر، ثم يستخرج من تلك الأفعال والآثار الأسماء الإلهية المناسبة أو يثبت مقصدا من مقاصد القرآن الأساسية كالحشر. فمن أمثلة المعنى الأول قوله تعالى: { هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم.. } (البقرة: 29)

ومن معنى الثاني قوله تعالى: { ألم نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا. وخلقناكم أزواجا } إلى قوله { إن يوم الفصل.. } (النبأ: 6 - 17)

في الآية الأولى يعرض القرآن الآثار الإلهية العظيمة التي تدل بغاياتها ونظمها على علم الله وقدرته، يذكرها مقدمة لنتيجة مهمة وقصد جليل ثم يستخرج إسم الله "العليم".

11 نفسه ص. 507-508

12 نفسه ص. 483

وفي الآية الثانية يذكر أفعال الله الكبرى وآثاره العظمى ويستنتج منها الحشر الذي هو يوم الفصل.<sup>13</sup>

2 - إن القرآن الكريم ينشر منسوجات الصنعة الإلهية ويعرضها على أنظار البشر، ثم يلفها ويطويها في الخلاصة ضمن الأسماء الإلهية أو يحيلها الى العقل فمن أمثلة الأسلوب الأول قوله تعالى: {قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون، فذلکم الله ربکم الحق؟!} (يونس: 31، 32) .. بعد أن قدم هذا المثال بين رحمه الله بنظره الثاقب، وتدوقه اللطيف .. أن الفقرة الأولى والرابعة من الآية تقول بمفهومها: الله، والفقرة الثانية تقول: الرب، والفقرة الثالثة تقول الحق، ثم قال:

" فافهم مدى الإعجاز في موقع جملة { فذلکم الله ربکم الحق } .  
ومن أمثلة الأسلوب الثاني قوله تعالى : {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلک التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون} (البقرة: 164) .  
ذكر القرآن في هذه الآية ما في خلق السموات والأرض من تجلي سلطة الألوهية وكمال قدرته وعظمة ربوبيته ووحدانته .. وهكذا بعد سرد منسوجات الصنعة الإلهية يسوق العقل الى اكتشاف حقائقها تفصيلا فيقول : {لآيات لقوم يعقلون} أخذا يزمam العقل الى التدبر موقظا إياه الى التفكير .  
وفي ختام عرضه لتلك الإشارات العشر التي اختارها لبيان الإعجاز في الفذلكات التي تختم بها الآيات .

قال: فافهم من هذه الإشارات العشر الإعجازية أن في الخلاصات والفذلكات التي في ختام الآيات لمعات إعجازية كثيرة فضلا عما يترشح منها من رشحات الهداية الغزيرة حتى بلغ بدهاء البلغاء أنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الحيرة والإعجاب أمام هذه الأساليب البديعة فقالوا ما هذا الكلام بشر، وآمنوا بحق اليقين بقوله تعالى: {إن هو إلا وحي يوحى}

#### الفصاحة الخارقة في لفظ القرآن

كثر القول في فصاحة ألفاظ القرآن ، ولكن الطريق التي سلكها النورسي في إبراز هذه الميزة القرآنية جديدة ، فقد تجنب الطريقة المألوفة التي تحصر الإهتمام في الكلمة المفردة، وقدم بيانا شافيا لأسرار الإنسجام بين الأصوات والحروف الهجائية في آية قرآنية طويلة وهو شيء جديد، لا نظفر منه في بحوث الإعجاز السابقة إلا على إشارات وإيماءات ترمز ولا تبين، وتلمح ولا تفصح.

قال رحمه الله: "إن إيضاح أسباب الفصاحة في آيات القرآن الكريم وفي جملة يطول كثيرا، وتفاديا من الإطالة نقصر الكلام على إظهار لمعة إعجاز تلتع من أوضاع الحروف الهجائية وكيفياتها في آية واحدة وهي قوله تعالى: {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة ناعسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك. يقولون: لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ههنا، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور} (آل عمران: 154).

وقدم تحليلا صوتيا لهذه الآية بدأه بمقدمة مجملة أوضح فيها أن هذه الآية جمعت جميع حروف الهجاء، وأجناس من الحروف الثقيلة، ومع ذلك لم يفقدها هذا الجمع سلاستها بل زادها بهاء الى جمالها، ومزج نغمة من الفصاحة، نبعت من أوتار متناسبة متنوعة، ثم انتقل الى ذكر نسب الأصوات التي اجتمعت في هذا الآية، فذكر نسبة الألف والياء، والميم والنون، والصاد والسين والشين والعين والغين، والصاد، والطاء، والذال والزاي، والهمز، والهاء، والقاف والكاف والفاء، والباء والتاء، والراء واللام، والحاء والحاء والثاء والصاد، وحرص على إيضاح ما بين كل صنف من الأصوات المذكورة من مناسبات في الصفة والمخرج والخفة والثقل، وكيفية توزيعها

14

ثم ختم بقوله: وهكذا فإن هذه الحروف بهذا الوضع المنتظم الخارق مع تلك المناسبات الخفية، والانتظام الجميل، والنظام الدقيق والإنسجام اللطيف تثبت بيقين جازم كحاصل ضرب  $2 \times 2 = 4$  أنه ليس من شأن البشر ولا يمكنه أن يفعله، أما المصادفة فمحال أن تلعب به"

في ختام هذا العرض الموجز أعود لأؤكد مرة ثانية أن فضل النورسي في إعجاز القرآن وتجديد معالمه وطرائقه كبير جدا، لأنه رحمه الله كان في جميع بحوثه وتأملاته لأسرار للآيات القرآنية يتوخى إثبات أن القرآن خطاب الله النوراني الأزلي الذي أنزله لتهتدي البشرية به في كل زمان وتساعد بتوجيهاته وحكمته في كل حين. وما قدمته عن معالم تجديده هنا ليس إلا باقية مختارة من زاوية واحدة من بستان فكر بدیع الزمان الغنى بكل جديد وطريف وأصيل، وإن كل مطلع على جهود المحدثين في البحث عن أسرار القرآن يدرك بسهولة فضل النورسي في ارتياد آفاق جديدة مهد طريق البحث فيها، ولكن المؤسف أن اسمه لا يكاد يذكر، وعندني أن اسمه وفضله يجب أن يذكر كلما ذكر التجديد في علوم القرآن في العصر الحديث.

أ.د. أحمد أبو زيد 335